الحُلم الضائع
lost dream

- لست في احتياج للأطباء، ولكن أين ..... ؟!!

الحُلمُ الضّائِعُ

وابيضَتْ عيناهُ من الحُزنِ فهو كظيم، ماتتْ زوجتُهُ في ريعانِ شَبابِها وتركتْ لَهُ ابنةً، كانتْ حسنةَ المَلمحِ رقيقةَ المشَّاعرِ، يشوبُ بشرتَهَا سُمْرَةٌ خفيفةٌ، فقدُ ورثتْ زهرةُ عنْ أمها صِفاتِ المُلوحةِ والدَلالِ، وثغراً باسماً كزهرةِ الفلِ حينما تتفتح في مَقدمِ الرَّبيعِ.

كانَ العمُ جمعةُ رجلاً طيبَ القلبِ، حسنَ الأخلاقِ والسيرةِ والمَعشرِ، تزوجَ متأخراً بعدما تقدمَ بهِ العُمرُ ولم ينجبْ إلا بعد الأربعين، كانتْ حياتُهُ بسيطةً يكفيهِ طعامُ يومهِ، قانعاً حامداً شاكراً ربَّهُ.

لفظتَهُ وظيفتُهُ الحكوميةُ فدَارتْ بهِ الظنونُ، كيفَ يقومُ على تربيةِ ابنتهِ، ومعاشُهُ ١٢٠ جنيهًا في الشهرِ، وقدْ بلغَ بهِ العمرُ عِتياً ولم يمتلكْ من حُطامِ الدنيا شيئاً سِواهُ. كُلَّما فكرَ في تجهيزِ ابنتهِ عندما يتقدم لها خطيب تُهدُ قواه وتسْودُ الدنيا أمامَ ناظريه كان يحملُ ذلك فوقَ رأسهِ هماً كجبالِ تُهامة.

فكرَّ ثم فكرَّ كيف يدبرُ أمرَهُ، فاهتدى لأن يشتري سَبتاً ويزينُهُ ويقومُ ببيعِ سُوداني يعدُهُ في قراطيسٍ بالقِطارِ، فوجدَ ذلكَ شَرفٌ من أن يسألَ النّاسَ أعطوهُ أو منعوهُ وقد تسورتْ الفكرةُ في رأسهِ، وقام بتجهيزها وها هو جاهزٌ للبدءِ.

صلى الصّبحَ وحملَ سبتهُ هاشاً ممنياً نفسه بالخير، وركبَ قطارَ السّاعةِ السّادسةِ المتجه إلى القاهرة، حيث يكثر عدد الرُكابُ، سواءُ العاملين أو الموظفين أو الطلاب والطالبات في هذا الموعدِ متجهين لأعمالهم أو إلى جامعاتهم.

نادى بصوتٍ مبحوحٍ:

- السُّوداني المحمص.
- السُّوداني اللذيذ.

اشترى منه كثيرٌ من الركابِ والراكباتِ، فَكلُ قرشٍ يدخلُ جيبَهُ يحسُ

بأنَّهُ يهدُ جزءاً من جبلِ الهمِ الذي يجثمُ فوقَ رأسهِ والذي يشبه جبل تهامة، أخذ يتنقلُ من محطةٍ إلى أخرى ومن قطارٍ إلى آخر حتى ينتهي من بضاعتهِ، ويضمُ قروشَهُ ويعودُ إلى بيتهِ هانئاً سَعيداً مُغتبطاً، وقد اشترى مَا لزَّ وطابَ من الطعامِ ويتناولهُ مع ابنتهِ زهرة والتي تستقبلهُ كلما جاءَ هاشةً فرحةً مسرورةً، فيضمها في حنوٍ منقطعِ النظيرِ ويقبلُ جبينَها، وكانتْ تعدو في البيتِ كفراشةِ بأجنحةٍ مُزركشةٍ وضيئةِ الوجهِ باسمةِ الثغرِ، فقد قطعتْ عليه الوحدةَ وملأتْ عليهِ البيتَ حُباً وفرحاً وحُبوراً، كانَ يستمدُ من ضَعفهِ وهَرمهِ قوةً كُلمَّا رآها .

دئبَ العم جمعة على هذا العملِ وكانَ يقسّمُ ما يمنُ عليهِ من رزقٍ ومالٍ إلى نصفين نصفٌ للطعامِ والشَّرابِ وشراءِ السُّوداني، والنصفُ الآخرَ يضمُهُ لتجهيزِ زواج زهرة، وقد بلغَ بهِ الهدفُ منتصفهُ أو يزيد ..

صَلى الفجرَ وحملَ سبتهُ المعهود ككلِ يومٍ وظلَ منتظراً قدومَ القطارِ كعادتهِ، فقدْ تأخرَ عن ميعادهِ المعهود، وما أنْ سمعَ صفارتَهُ قادماً تأهب كَكُلِ الرّكابِ للقفزِ من أي بابٍ أو شباكٍ كانَ، فعدد الرّكابِ يزيدُ، وبينما العم جمعة ينحشرُ بينَ الجموعِ المتلاحمةِ والمتصارعةِ في الدخولِ تحركَ القِطارُ مع صفارةِ إنذارٍ تدوي في أرجاءِ المحطةِ، يسقطُ أرضاً ويطيرُ سبتُهُ تحتَ عجلاتِ القِطارِ، ويتطايرُ ما فيهِ بينَ القُضبانِ، يهرعُ النّاسُ من كُلِ الأرجاء والذين لم يحالفهم الحظُ أو لم تواتيهم الفرصةُ من ركوبِ القطار، حملوه في شبه غيبوبةٍ وقد علتْ صُفرةٌ وجهَ العجوز والآلامُ تنهشُ عظامَهُ . وجد نفسَه بينَ أسرةٍ بيضاء وحولُهُ الأطباءُ، ولمَّا أفاقَ قال :

- أين أنا ؟ ومن أنتم ؟
- طمأنهُ على سلامتهِ، فهو بخيرٍ ويمكن الخروج .

بينما هو خارج تتفرسْنَ فيهِ الممرضاتُ، فكانَ باكٍ تتساقطُ من عينيه دموعٌ غذيرةٌ، فهدهدنَ عليه، وتشير بعضهنَ عليه بأن يرجع للأطباءِ؛ فهزَّ رأسَهُ نافياً ... وحينما كررنَ عليه السؤالَ بالعودةِ، قالَ :

- لست في احتياج للأطباءِ، ولكنْ أينَ ..... ؟!!